كتابة على الحيطان

■ عامر القيسي

اللغة والشعوب المتحضرة

اللغة تعني الثقافة والتواصل الحضاري والمعرفة والتميز أيضا.. يعتقد البعض ولا يزال، ان تعلم لغة أخرى يعني الهيمنة الثقافية والفكرية، وينظر الى عدم تدريسها من منظار شوفيني ضيق، خصوصا اذا كان نوع الترابط بين أكثر من شعب ومكون داخل الاطار الواحد في الجغرافيا والتأريخ من النوع العراقي.

للكرد فضل كبير على اللغة العربية وأسماء بارزة ومهمة ساهمت مساهمة فعّالة في اغناء المكتبة العربية بدراسات ومشاريع تخص اللغة العربية، مثل محمد كرد علي، ابن حاجب،خيرالدين زركلي والبيتوشي وغيرهم ممن لاتحضر اسماؤهم في هذه العجالة من معالجة موضوع بهذا الوزن. والكرد ربما من أكثر الشعوب التي تتحدث لغات المكونات الاخرى بفعل التداخل الاجتماعي والاقتصادي فضلا عن السياسات المعادية للشعب الكردي والتي كانت من مهام هذه السياسات فرض لغة بعينها على الكرد. ومع كل التحولات في التجربة العراقية ما زال هذا الواقع يؤكد حضوره بهذا الشكل أو ذاك.

على العكس من ذلك تنطلق في كردستان العراق حملة برعاية لجنة عليا برئاسة وزير التربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الاقليم ورغم انطلاقتها التي واجهت الكثير من الصعوبات، كما في التحقيق المنشور في هذه الصفحة، الا ان الحملة تسير بخطى حثيثة لتثبيت مبدأ حضاري في ان تعلم اللغات هو جزء من متطلبات النهوض الحضاري لاي شعب خصوصا مع تحول العالم الى قرية صغيرة والتسهيلات التي يقدمها عالم التكنولوجيا للتواصل بين الشعوب. وما يجري في الاقليم ليس مشروعا لتعلم اللغة العربية فقط بل هناك مناهج مترجمة الى اللغتين السريانية والتركمانية لتأكيد مبدأ انطلاق الحملة.

وتعلّم اللغة العربية في الاقليم يأخذ بعدا آخر في ان السياسيين الكرد في البرلمان العراقي، من المنطقي أن يكونوا على معرفة كافية في اللغة العربية للتواصل والحوار والتفاهم على المستوى السياسي في خضم الصراعات السياسية الجارية في البلاد في مختلف الشؤون والتي يكون فيها للمكون الكردي دور في التعديل والتطوير والاقرار.

وفي السياسة يضيّع الجهل بلغة الآخر الكثير من الحقوق، كما في القضية الفلسطينية التي حوّلت مفردة " اراض فلسطينية " الى أراضي من فلسطين " في الترجمة وما صاحب هذا التحول من تمسك الطرف الآخر بحرف الجر "من" لانه يعني الجزء وليس الكل! ومن حاجات المشروع ان جيلا كاملا من الكرد،خصوصا بعد انتفاضة ١٩٩١ وتخلص الشعب الكردي من هيمنة الدكتاتورية، يجهل اللغة العربية قراءة وكتابة، وربما يعود الفضل الى التحدث باللغة العربية في سنوات ما بعد التغيير عام ٢٠٠٣ الى تواصل الحركة بين الكرد والعرب العراقيين في مجال السياحة والاقتصاد.

والحاجة تبقى قائمة ليس للكرد فقط وانما لكل المكونات الاخرى لتعلم لغة المكون الآخر وهي من مهام وزارة التربية الاتحادية للاعتناء بهذا الموضوع، الذي ربما تعتبره عاديا،من خلال تدريس اللغة الكردية ببرامج واضحة ومناهج متصلة للطلبة العرب لتأكيد التواصل الحضاري والثقافي والعلمي والاجتماعي بين الكرد والعرب والتركمان باعتبارهم مكونات أساسية للعراق.

والموضوع مفتوح للنقاش والاغناء من قبل المختصين وصفحة " كردستان " تستقبل كافة الآراء التي تغني الموضوع وتتبنى نشره لاغناء التواصل الحضاري بين مكونات الشعب العراقي.

مشروع تدريس اللغة العربية في الإقليم من التجريب إلى التعميم

مسؤول كردستاني يدعو السياسيين الكرد إلى تعلم اللغة العربية والتحدث بها لتمثيل المصالح الكردية في بغداد

- ◆ مدير مناهج الإقليم: تحديث مناهج اللغة العربية خطوة جيدة لدعم المسيرة التربوية
- ◆ الإشراف التربوي: نتمنى أن يطبق هذا المشروع في المدارس العربية

للغة العربية دور ثقافي وفكري وسياسي في اقليم كردستان ومازال هذا الدور فاعلا لانها تأتي في الدرجة الثانية من حيث الاهمية في الاقليم بعد اللغة الكردية، باعتبارها سبيلا من سبل التحاور السياسي والتعايش الاجتماعي التأريخي بين شعب اقليم كردستان بكل مكوناته العرقية والدينية وبين الشعوب العربية في العراق وبقية الدول العربية.

يقول تقرير لمشرف تربوي، بعد انتفاضة آذار المجيدة عام 1991 أصبح من الضروري تغيير مناهج التربية والتعليم لكي تتلاءم هذه المناهج مع متغيرات الواقع السياسي الجديد، وكان للغة العربية حصتها من هذا التغيير فبدأت الخطوات بهذا الاتجاه منذ ذلك الحين. ونطمح، يقول المشرف التربوي،ان تكون عملية التطوير والتنقيح مستمرة على الدوام لنواكب المناهج المتبعة في دول لا تنطق شعوبها اللغة العربية لكنهم يتفوقون بها.

□ مكتب المدى /أربيل

اللغة العربية هي اللغة الرسمية الثانية في كردستان والأولى في عموم العراق الذي يشكل الكرد فيه أكبر الأقليات العرقية من حيث العدد، وبالرغم من إن دراسة العربية قد صارت ملزمة في الوقت الحاضر في المدارس الكردية فإنه من الملاحظ إن نسبة الكرد الذين يجيدون التحدث باللغة العربية بطلاقة في تضاؤل. وتعد اللغة العربية هي اللغة الثانية بعد اللغة الأم –التي هي الكُردية– بين أبناء الكرد في المنطقة الكُردية في العراق، وقد خدم الكرد هذه اللغة خدمات جليلة من خلال مساهمات ابن قتيبةوالآمدي وابن صلاح وابن الحاجب – من المتقدمين– والبيتوشي،والنودهي–من المتأخرين– وغيرهم، ولا يزال الكرد مهتمين بهذه اللغة، بل "حظيت الثقافة العربية الإسلامية بمكانة سامية لدى الشعب الكردي، فبذلوا عظيم جهدهم في نشرها، وتوسيع رقعتها، وتثبيت أركانها، ورفدها بأسباب الديمومة والتواصل. ولايختلف اثنان في فضل الاستاذ محمد كرد علي على الناس في العربية وفضله الجلي الاول يظهر في أنه أول من أسس مجمعا علميا في العالم الاسلامي، بعد أن رأى الفرنسيون وقد اسسوا مجمعا لهم ثم ساعد المصريين في تأسيس مجمع فؤاد الأول في القاهرة، الذي سمي فيما بعد (مجمع اللغة العربية).

الكرد المتحدثون باللغة العربية يصنفون على إنهم من الجيل القديم بضمنهم النخبة السياسية الحالية التي نالت قسطها من التعليم قبل إنشاء إقليم كردستان لشبه الحكم الذاتي في عام ١٩٩١، فالعديد ممن أعمارهم أدنى من ٣٥ سنة لا يجيدون التحدث باللغة العربية، من جانب آخر نجد إن الإهمال المتنامي للعربية من قبل الكرد يقابله إهمال مماثل ودائم للغة الكردية من قبل العرب العراقيين والسياسة الرسمية للحكومة الاتحادية بهذا الخصوص.

البداية الصعبة

يقول تقرير للجنة العليا لتحديث منهج اللغة العربية لمرحلتي الاساس والاعدادية في اقليم كردستان " في عام ٢٠٠٩\ ٢٠١٠ بدأت وزارة التربية في حكومة الاقليم بالتفكير جديا بمسألة تحديث اساليب جديدة في تعليم اللغة العربية لمرحلتي الاساس والاعدادية، لكن الانطلاقة واجهت مشكلة، فيجب استخدام مناهج مختلفة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عن تلك التي تستخدم لتعليم الكتابة والقراءة للناطقين بها، ولم يكن في الوزارة خبراء معدّون لاعداد المناهج المناسبة في اللغة العربية.يواصل التقرير، فاستمر الوضع على ما كان حتى بدأت المشكلة بالانحسار وذلك من خلال قيام تعاون تربوي بين وزارة تربية الاقليم مع مؤسسة تربوية مقرها لبنان معرّفة ب "مؤسسة جيوبروجكتس – ناشرون مدرسيون " وقد نجحت خطة التعاون في علاج المشكلة عن طريق التجريب كمرحلة أولى في الصف الرابع من مرحلة الأساس للسنة الدراسية ٢٠١٠.٢٠١١ والتي لاقت رضا واستحسان التلاميذ والمعلمين، فتم تعميم المنهج على مدارس الاقليم للسنة الدراسية ٢٠١١\٢٠١٢ ليدخل منهج الصف الخامس من نفس المرحلة في التجريب ولنفس السنة الدراسية، لكن تعليم اللغة العربية في مدارس الاقليم، يواصل التقرير، مازال يواجه المشكلة نفسها وبتحديات اولها، ضعف المستوى التعليمي العام مع ان الاقبال على تعلم اللغة العربية من قبل التلاميذ في ازدياد وبدا واضحا من خلال التطبيق الميداني للمنهج المستحدث، لكن قلة المؤهلين للتدريس من المعلمين تأهيلا مناسبا يؤدي الى ضعف في التحصيل العام، وثاني التحديات، تشتت جهود كثير من القائمين على تعلم اللغة العربية وغياب التعاون على مستوى المناهج وانعدام التنسيق وتبادل الخبرات في اطار عمل مؤسساتي رغم محاولات جادة وايجابية تظهر احيانا في بعض المشاريع.

جهود تصاعدية

يقول مدير عام المناهج في وزارة تربية اقليم كردستان آراس نجم الدين عبدالله للمدى عن مشروع تغير مناهج اللغة العربية والعمل على تحديث منهج دراسي لغير الناطقين اللغة العربية "ان المتتبع للمسيرة التربوية في مدارسنا ومدى الانجاز المتحقق فيها يتأكد من الجهود الذي تبذل لدعم هذه المسيرة وتقدمها الى الأمام وهذا واضح من خلال السنوات الاخيره وبشكل تصاعدي.ويضيف نجم الدين " لتقييم الانسان لابد من سماع آراء الآخرين لابد أن نجد انفسنا من خلال عيون الآخرين فنحن مقتنعون ان تغيير وتطوير المناهج وبناء المجتمع يبدأ بتغيير المناهج المدرسية ،قانون وزارة التربية المادة الرابعة تؤكد على تغيير المناهج بحيث تواكب التطور الحاصل في المجال المعرفي وعلى هذا الأساس نحن بعد الانتفاضة ١٩٩١ بدأنا الخطوة الأولى لتنظيف المناهج من المعلومات والمفردات التي كانت تمجد الشخص الواحد في مختلف نواحي الحياة في العراق وتحتوي على أمور تؤدي الى العنف وقد تمت ازالتها من الكتب كمرحله أولى وبعد سقوط النظام ٢٠٠٣ بدأت مرحلة التطوير للمناهج وتحديث المناهج منها مناهج حقوق الانسان والديمقراطية والتربية المدنية وكذلك مفاهيم المواطنة ،تم استحداث هذه الامور واستطعنا تحقيق النجاح كما اننا سبقنا الحكومة الاتحادية في ذلك.

في عام ٢٠٠٥ تم تغيير مناهج اللغة الانكليزية حيث كانت سابقا دروس اللغة الانكليزية تدرس للطلبة ابتداء من الصف الخامس الابتدائي الا اننا بدأنا بتدريسها ابتداء من رياض الاطفال ،في ٢٠٠٧ تم تغيير مناهج العلوم والرياضيات بدلا من أن يكون المدرس محور العملية التعليمية اصبح الطالب هو محور العملية والنتائج كانت ممتازة بشهادة من مكتب التربية العالمي لمنظمة اليونسكو حيث تم تقييم مناهجنا بمناهج ذات معايير دولية توازي المناهج الموجودة في العالم.

×متى بدأ مشروع تغيير مناهج اللغة العربية؟

– عام ٢٠٠٩ بعد المشاورة مع المختصين باللغة العربية تم اقرار تغيير مناهج اللغة العربية والعمل على تحديث المنهج الدراسي لغير الناطقين بها،تمت تجربة المناهج في محافظات اقليم كردستان كمرحلة تجريبية وبعد جمع البيانات من قبل القائمين على التعليم تمت الموافقة على العمل في دراستها في المدارس ونحن الان في عام ٢٠١٢ وصلنا الى ادخال المنهج الجديد الى السابع الاساس.

×من اين جاءت هذه الفكرة؟

– كان الطلبة يعانون من مشكله، وهي حصولهم على تقديرات ضعيفة في اللغة العربية رغم حصولهم على درجات عالية لباقي الدروس وقد وجدنا ضعفا شديدا في مستويات الطلبة في اللغة العربية والمنهج كان غير مناسب للمراحل الاعدادية لذا فكرنا بمنهج دراسي جديد يعلم التحدث باللغة العربية للتواصل مع الأخوان العرب ،هنالك ايعاز من القيادة الكردية بالاهتمام باللغة العربية عكس مايتصور الشوفينيون بان هناك تهميشا للغة العربية،وفي اقليم كردستان مناهجنا الدراسية ترجمت الى اللغة العربية وبنفس الوقت تترجم الى اللغه السريانية ،التركمانية والتركية حيث وصل اعداد الكتب المتجددة ١٠٨٦ لجميع المراحل تفوق بذلك ما موجود في العالم.

×ما الفرق بين مناهج المدارس الاهلية و الحكومية؟

– المدارس الاهلية نوعان، مدارس اهلية حكومية لها نفس المناهج الموجودة لدينا ومدارس أهلية دولية لهم مناهج خاصة ترسل من دولها وهذه المناهج يتم تقديمها الى مديريتنا لتقييمها وبعد دراسة الشروط مع طلب رخصة الدراسة تكون المناهج المقدمة يعمل فيها دوليا مع رخصة من الشركة الرسمية التي اعطت رخصة بطبع المنهج الخاص بهم أستطيع القول ان المناهج الموجودة في الاقليم والخاصة بالمدارس الحكومية تضاهي المناهج في المدارس الدولية.

مؤتمر 2007

المشرف التربوي اختصاص لغة عربية سعيد مولود حسين تحدث للمدى عن مشروع تغيير مناهج اللغة العربية وتدريسها في الاقليم قائلا: بعد مؤتمر ٢٠٠٧ التربوي تم اقرار تدريس برامج اللغة العربية في مدارس كردستان بحيث يلائم مايتم تدريسه في دول غير عربية وفي سنه ٢٠٠٩ تم تشكيل اول لجنه لصياغة هذا المنهج بالاتفاق مع شركه لبنانية معنية بوضع المناهج للدول غير العربية ،وضع منهج اللغة العربية على هذا المنوال وتم الاتفاق على أن تكون السنة الأولى تجريبية تشمل ٢٠ مدرسة في كل محافظة من محافظات الاقليم وكل سنة يتم مراجعتها ضمن تقارير تقدم من قبل المعلمين وأولياء الامور والتلاميذ لحين الوصول للمشرفين وبدورنا نقوم بتنقيحها لتكون جاهزة للسنة المقبلة ،بدأنا بوضع المناهج من الصف الرابع والخامس والسادس وهذا العام يتم تطبيقها على الصف السابع وهذا المنهج خالي من الاخطاء والتعقيدات ويعد عملا جماعيا عكس المنهج السابق الذي يجعل التلميذ الكردي لا يتقن اللغة العربية بشكل جيد وهذا ماحققناه في هذا المشروع وهو شيء ايجابي جدا.

ضعف القدرة الاستيعابية

وأضاف حسين كل عمل في البداية يواجه مصاعب ومعوقات وهذا ما واجهناه في بداية تطبيق مشروعنا ومن هذه المصاعب ضعف قدرة المعلم على استيعاب المنهج الجديد لذا أقمنا دورات تدريبية لجميع المعليمين المختصين في هذا المجال من أجل تزويدهم بالخبرة والمعرفة بطرق التدريس التي تعتمد على المحاورة والتلفظ فهذا المنهج سماعي وشفوي في المراحل الابتدائية اضافة الى وجود اقراص مدمجة تسجل عليها الاناشيد واللقاءات وقد بلغ عدد المعلمين الذين تم ادخالهم الدورات التدريبية ٦٤٥ معلما ومعلمة.لدينا فكرة بعد اكمال هذا المشروع وان يتم تطبيقه على المراحل الدراسية الاخرى الى الصف الثاني عشر وبنفس الوقت أن نطبق نفس المشروع على المدارس العربية وذلك بتغيير منهج اللغة الكردية الى ما ذكرناه.ويضيف سعيد "في هذا المنهج أيضا وجود معجم في نهاية الكتاب يسهل عملية التعليم ،محتويات الكتاب تتضمن القاء،تواصل ،اكتشاف ،تسلية وافادة ،طرائف وحكايات ،تمرينات. وأخيرا نتمنى التواصل للتعرف على هذا المشروع كونه فكرة صائبة انجزتها وزارة التربية في الاقليم.

اللغة والسياسة

إن الفجوة اللغوية الجدلية بين العرب والكرد ما هي إلا إحدى عوارض التوترات القائمة بين الطرفين والتي قد تتفاقم قريباً بينهما على ايقاع الخلافات السياسية بين بغداد واربيل،ويقول المحللون إن الجيل القادم من القادة الكرد لربما يكون عرضة للخطر لجهله أو افتقاره للغة العربية بالطلاقة اللازمة. وقال مسؤول كردي يجيد العربية أسوس هاردي " سياسياً تكمن الخطورة في وجود مسؤول بين الكرد لكنه لا يجيد التحدث وإقامة حوار بالعربية مضيفا " إنه عشرات المرات أفضل وجود مسؤول يجيد العربية ليكون أكثر استعدادا وقدرةً من مسؤول آخر في نفس منصبه لكنه لا يجيدها".

"فريد أسادرد" الذي يشغل منصب رئيس مركز كردستان للدراسات الجيولوجية أتفق مع هاردي بقوله على قادة المنطقة مستقبلاً التحدث باللغة العربية بطلاقة ليتسنى لهم تمثيل المصالح الكردية في بغداد. فالكرد الشباب لا يتحدثون العربية بصورة جيدة بسبب قلة تفاعلهم مع الفئة المتحدثة بالعربية من العراق.

الرئيس العراقي الحالي ووزير الخارجية والنائب السابق لرئيس الوزراء هم جميعهم كرد ويتحدثون اللغة العربية بطلاقة،الكاتب والصحفي في مجلة رداو وأسمه عبدالله كرجاي البالغ من العمر ٦٠ عاماً ذكر عن إتقانه العربية منذ شبابه إبان انخراطه في صفوف الجيش العراقي. وبعدها تزوج من امرأة عربية مبيناً إن الخدمة العسكرية والزيجات المختلطة ساعدت الكثير من الشباب الكردي من جيله آنذاك لتعلم العربية للفترة الممتدة بين الانتفاضة الكردية في عام ١٩٩١ والتغيير عام ٢٠٠٣ بقيادة الولايات المتحدة حصلت المحافظات الثلاث التي تمثل كردستان على حكم ذاتي مستقل وفاعل في العراق، وشاهدنا كيف كان الكرد في الدوائر والمدارس يؤكدون ويصرون على هويتهم – بعد عقود من الاضطهاد في بغداد – باستبدال العربية باللغة الخاصة بهم وأسترسل كرجاي يقول " بعد انتفاضة عام ١٩٩١ أعتبر الكرد أنفسهم مستقلين " فلم يجدوا أنفسهم مضطرين بعد الآن إلى تعلم العربية ولم يبذلوا جهداً في هذا المضمار.

فيما اعتبر مواطنون كرد ان تعلم اللغة سواء بالنسبة الى العرب أو الكرد قضية مهمة بوجود التداخل بين الشعبين على المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وأكد تجار كرد واصحاب محال ان علاقاتنا الاقتصادية والتجارية تتطلب معرفة اللغة من الطرفين ففي كردستان حركة سياحية واستثمارية وتجارية يشكل العرب العراقيين نسبة جيدة منها.

مشكلات التدريس

حددت لجنة كردية خاصة مشكلات تدريس العربية في كردستان لغير الناطقين بها بالنقاط التالية:كثرة عدد التلاميذ في الصف الواحد الذي يصل الى نحو (٥٠-٧٠)طالبا،الكثير من المعلمين والمعلمات لايستطيعون التحدث باللغة العربية، تأخير وصول الكتب، عدم استخدام الوسائل التعليمية بصورة عامة،اهمال المعلمين والمعلمات لخطوات التدريس حسب الدليل المعتمد، عدم مشاركة الكادر التعليمي في دورات اختصاصية،التنقلات بين المعلمين التي تشمل المشاركين في الدورات دون علم المشرفين،قصر مدّة الدورات التي لاتزيد في الغالب عن ستة ايام صعوبة كتابي (التلميذ والتمرينات)بالنسبة للمعلم والتلميذ على حد سواء.

ورغم هذه المعوقات الا ان مشروع تعلّم اللغة العربية في كردستان لغير الناطقين بها يسير نحو الافضل فقد ابتدأ التجريب في الصف الرابع الأساس فيما هذا العام بلغت مرحلة التدريس الى الصف السابع.